

كان يفهم الجماع أولاً يفهمه ، لأنه لا يلزمه إسكان ولدها في بيت من دار بمرفق مستقلة به ، أو بمرفق في الدار يشترك فيها أهل البيوت الأخرى في الدار .

الالتزام بتأثيث المسكن

وإذا قلنا أن للزوجة على زوجها حق السكن المناسب ، فإنه كذلك يلتزم بضرورات السكن فيه بتوفير مستلزمات هذا السكن من أثاث للجلوس والنوم وما تحتاجه من أدوات الطبخ والأكل كالبراد والطباخة وكل ما اعتبر ضرورياً عرفاً ، وذلك لأن المرأة ليس عليها إلا تسليم نفسها في بيته وعليه أن يهيئ إليها جميع ما يكفيها بحسب حالتها ^(١) .

وقد ذكر الفقه نوعية الأثاث الذي يجب توفيره لها حسب العادة الغالبة في زمانهم ^(٢) .

وعلى ذلك فإذا كان الأثاث في ذلك الزمان يمتاز بالبساطة وعدم التعقيد ، فإننا الآن نختلف من حيث الحاجة لاستخدام الأدوات الكهربائية كالتكييف للهواء والبراد والتلفزيون والغسالة والطباخة والمكنسة الكهربائية وغير ذلك من الأثاث وهذا يخضع للعادة والعرف بحسب الزمان والمكان أيضاً .

(١) الدر المختار ورد المختار ج ٣ ص ٥٧٩ - ٥٨٤ .

(٢) البهوتي صاحب كشف القناع عن متن الإقناع ج ٣ ص ٢٩٨ كذلك مغني المحتاج ج ٣ ص ٤٣٠ .

الخاتمة

وخلاصة ماأوردناه سالفاً أن مسكن الزوجية حق للزوجة في النفقة كالطعام والكساء فيتعين على الزوج أن يهيء لزوجته المسكن المناسب حتى يمكن القول بأن المسكن مناسب شرعاً ، فيتعين لذلك توافر الشروط الثلاثة الآتية :

أولاً : أن يكون مشتملاً على كل مايلزم السكن من أثاث وفراش وآنية ومرافق وغيرها بما تحتاجه الأسرة ويراعي في ذلك حالة الزوج المالية ووضعه الاجتماعي^(١) .

ثانياً : أن يكون خاصاً بالزوجين دون غيرها فإذا كان مشغولاً بسكنى أحد مهما كانت صلته بهما فإنه لايعتبر سكناً شرعياً حيث لايتحقق فيه للزوجة حرיתה الكاملة^(٢) .

ثالثاً : أن يكون المسكن مأموناً وإلا فلا يعتبر مسكناً على الإطلاق حتى تكون الزوجة آمنة فيه على نفسها ومالها ولايؤدي إلى استيحاشها^(٣) . وكذلك ماجاء في حكم المحكمة الاتحادية العليا أنه « من المقرر شرعاً أن الزوجة لاتلزم بطاعة زوجها والقرار بالمسكن الذي أعده لها إلا إذا كان هذا المسكن لائقاً بحالة بين جيران صالحين تأمن فيه على نفسها ومالها وأن يكون خالياً من سكني الغير .. »^(٤) .

(١) أ.د. محمد مصطفى شلبي أحكام الأسرة ص ٤٣٥ ، أ.د. يوسف قاسم حقوق الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٢٤٩ ، علي حسب الله الزواج في الشريعة الإسلامية ص ١٩١ .
(٢) انظر ماقد ذكرناه من النقل عن المذاهب الفقهية وكذلك حكم للمحكمة الاتحادية العليا طعن رقم ٢٦ لسنة ١٥ جلسة ١٩٩٣/٦/٢٦ شرعي مجلة العدالة .
(٣) الدر المختار ج ٣ ص ٦٠٢ - د. يوسف قاسم المرجع السابق ص ٢٥٠ .
(٤) جلسة ٢٦ / ٦ / ١٩٩٣ طعن رقم ٢٦ لسنة ١٥ مجلة العدالة عدد ٧٨ السنة ٢١ إبريل ١٩٩٤ ص ١٢٣ .

فإذا أعد الزوج للزوجة سكناً بالشروط السابقة وجب عليها الاستقرار فيه ولا تخرج منه إلا بإذنه، أما إذا امتنع عن إعداد هذا المسكن ، أو أعد مسكناً لا تتوفر فيه الشروط السابقة فإن من حقها أن تطالبه بأجرة مسكن شرعي فيما لو أمكنها تدبير المسكن من جانبها^(١) .

والله ولي التوفيق ،،

(١) كشف القناع عن متن الإقناع ج٣ ص ٢٧١ .

الجلسة السادسة

مدى حقون الأولاد على الوالدين

رئيس الجلسة :

- **د.أ. مصطفى الجمال**

عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات العربية المتحدة.

المتحدثون :

- **د.أ. محمد مجاز الخطيب**

أستاذ بقسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الإمارات العربية المتحدة .

- **د. عبدالله محمد دفع الله**

قاضي بمحكمة التمييز بدبي .

- **د. عبدالحميد اسمايل الأنصاري**

أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون بجامعة قطر .

- **المستشار سيد الشيمي**

رئيس نيابة الأحوال الشخصية بالنيابة العامة بدبي .

حقوق الأوالاد التربوية قبل الوالدين

للأستاذ الدكتور محمد مجاز الخطيب *

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المرسل رحمة للعالمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد فإن الاهتمام ببناء الأسرة وبيان حقوقها وواجباتها أمر هام جداً ، لأنها اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، فبصلاحها وحسن أداء رسالتها صلاحه ، وبفسادها وسوء أداء واجبها فساده . وإذا كان الاهتمام بالأسرة وبنائها وحقوقها واجباً فيما مضى ، فإن العناية بهذه الجوانب في زماننا وفي ضوء المعطيات المعاصرة أشد وجوباً ، وألزم بالرعاية والعناية من أي زمن آخر ، ذلك لأن المعطيات المعاصرة كثيرة جداً ، عمت أكثر ميادين الحياة المادية والأدبية والثقافية ، وانعكست مفاهيمها في الحياة المسلكية ، فقد شقت العلوم طريقها في المجال التطبيقي ، في البصريات والسمعيات والمحسوسات ، حتى غمرت الحياة بما لم تعهده من قبل ، فالحاسوب بمختلف أنواعه وطاقاته ، ووسائل الاتصال التي لا تعد ولا تحصى ، ووسائل الترويح والترفيه ، وانفراج زاوية المعرفة من أضييق درجاتها إلى أوسع ما تتصوره المقاييس في الأبعاد الثلاثة ، قربت البعيد ، وطوت المسافات ، وكشفت كثيراً من الأسرار الخفية ، في عوالم الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء ، والطب والصناعة ،

* أستاذ بقسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة الإمارات العربية المتحدة.

وعوالم الفضاء. حتى كادت المنتجات المعاصرة تستعبد الإنسان بعد أن بهرته واستهوته، تلتهم وقته وماله وصحته التهام النار للهشيم، وإذا بالإنسان يعيش على الأرض، وعيونه متعلقة بالفضاء، وأعماق البحار، وحواسه مشدودة إلى ما وراء المحيطات، وإلى جانب هذا فقد تغير كثير من القيم، وروج لبعض الأفكار المنحرفة والأخلاق الفاسدة... فاستلت بعض المعطيات الجديدة بسلبياتها كثيراً من فلذات أكبادنا وهم في ريعان الصبا من أوساطهم، وسلختهم عن دينهم وتقاليدهم وعاداتهم وثقافتهم، حتى تمثّلوا شخصيات لا تمت إلينا بصلة، ولا تربطنا بها رابطة، وخارت بعض العزائم، وتشبّطت الهمم عند آخرين، وظن قطاع كبير من الناشئين أن ضالتهم في الهروب من الواقع بمختلف الوسائل، فأرخی لنفسه العنان، مع انقراط عقد الأسرة، فالزوج ينشد راحته وسعادته خارج عش الزوجية، والزوجة تتمزق بين واجبات العمل خارج البيت والعمل فيه، مجاراة لمتطلبات الحياة ومعطياتها ومظاهرها ومقتضياتها، وانساب الأولاد في هذا الخضم المتلاطم تتقاذفهم الميول والأهواء، وسلبيات المعطيات الواقعية والخيالية في غفلة عن الآباء والأمهات، تحضنهم صدور المربيات والخادمات.. في البيت، ويواكبهم ويستوعبهم رفاق السوء خارجه، يسحقهم الفراغ، فيبدد الأموال، ويتلف الأجساد، وتتشعب بهم سبل الانحرافات المختلفة.... فينتهي بهم المطاف إلى العدوان على الأموال، والأرواح والأعراض... فيساق الأحداث إلى الإصلاحيات والكبار إلى السجون والمعتقلات، بما لم يسبق لمجتمعاتنا المسلمة عهداً بتلك الصور المؤلمة، التي يذهبُ ضحيتها فلذات أكبادنا، وزهرات فتياتنا وفتياننا، التي أذبلها العقوق، وداسها تحت الأقدام الانغماس في الشهوات، في غفلة عن الوالدين، والأولياء الذين يلهثون وراء المظاهر المادية، ويسعون ليل نهار وراء سعادتهم الدنيوية، ولم يعلموا ما تجنيه يدا الإهمال، وعدم تحمل المسؤولية من شوك ما يزرعون. فانقلبت السعادة تعاسة بتفلت الأولاد من القيم الأخلاقية، وانسلاخهم عن الأحكام والآداب

الاسلامية ، واحترار المصلحون كيف يرثبون الصدع ، ويداوون الجراح ، ويعيدون المياه إلى مجاريها ، والحق إلى نصابه ، وجميعنا يعلم أن علاج ذلك كله في شرعة الاسلام وآدابها ، التي تحفظ على الأسرة كيانها ، وعلى الأمة نظامها ، وتنمي شخصيتها ، وتمكنها من أداء رسالتها . لذا رأيت أن أتناول موضوع حقوق الأولاد التربوية على الوالدين ، تناولاً موضوعياً ، لما له من أهمية كبيرة في الحياة في مختلف ميادينها ، ولآثاره البالغة في حماية الناشئة ووقايتهم من كل ما يسؤوهم ، وتربيتهم التربية الصالحة التي تكفل لهم ولأسرهم ودويهم سعادة الدارين . وقد بلغت هذه الحقوق تسعة عشر حقاً أيدتها بالأدلة والشواهد الشرعية ، وحاولت عرضها وفق مراحل النمو ، منذ الولادة حتى سن الشباب ، وختمتها ببعض المقترحات ، سائلاً الله عز وجل أن أكون قد وفقت إلى تحقيق ما تغييت . شاكراً لكلية الشريعة والقانون ، وللقائمين على ندوة " حقوق الأسرة في ضوء المعطيات المعاصرة " جهودهم الطيبة مع تمنياتي للكلية والجامعة الإمارات العربية المتحدة . دوام التقدم والازدهار.

والله تعالى ولي التوفيق ، ، ،

أهمية دور الأسرة التربوي :

للأسرة دور تربوي عظيم ، لأنها الأرض التي تنمو فيها غراس الأولاد ، فإن أحسنت رعايتهم وأحكم توجيههم ، في ظلال الإسلام الوارفة ، أينعت الثمار ، وطاب الحصاد ، ونما المجتمع ، وإن كان الإهمال في التربية والتوجيه ، فسدت تلك الثمار، وبار الحصاد .

وإن مسؤولية الأسرة التربوية ووظيفتها من أعظم الوظائف ، فإنها تتناول جميع أفراد الأسرة كباراً وصغاراً ، ذكوراً وإناثاً ، ولو قلنا إن الأسرة هي البوتقة التي يصاغ فيها الفرد في مجتمع صغير ليأخذ مكانه ودوره في المجتمع الكبير لما كان في هذا أي تجاوز من الناحية العلمية والتربوية^(١). يتضح هذا الدور في الإسلام فيما يلي:

١ - حسن بناء الأسرة :

إن الاهتمام بتربية الأولاد يبدأ في الإسلام منذ محاولة تأسيس الأسرة وبنائها، بحسن اختيار كل من الرجل والمرأة صاحبه الذي تتوفر فيه أعلي درجات أسس الاختيار التي حض عليها الاسلام عند بناء الأسرة ، وما أبعد دلالة قول القائل لأولاده :

وأول إحساني إليكم تخيري لماجدة الأعراق بادِ عفافها

فلا يعير الأولاد بأمرهم أو أبيهم ، مما يهيء لهم بيئة طيبة مناسبة لنموهم ، خالصة من كل شائبة تعكر نشأتهم، وإلى هذه المعاني أشارت الخنساء لبنيتها في قولها : (والله إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنتُ أباكم، ولا

(١) انظر أثر تخلي الأسرة عن دورها التربوي ، واختلال هذا الدور فيها في أسباب جنوح الأحداث : كتاب جنوح الأحداث أ.د. الحاني ص ٣٩ و ٤٠ و ٧١ و ٧٢ ، ص ٨٣- ٨٨ . وظاهرة جناح الأحداث ص ٤٣٧ و ٤٣٩ ، والأسرة و جنوح الأحداث منى جمعه ص ١٥٣ .

نكست رأس خالكم) (١) .

٢ - آداب المعاشرة الزوجية :

تُحَف المعاشرة الزوجية بآداب إسلامية جمّة ، فيقول الرجل لزوجته أول ما يلقاها : بارك الله لكل واحدٍ منا في صاحبه ، ومن السنة أن يقول : " اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه" (٢) ويلتزم كل منهما حسن المعاشرة لصاحبه كما بينت السنة الطاهرة (٣) .

ولا يعامل كل واحد منهما صاحبه أو يمازحه إلا بالمعروف ، وبما لا يؤديه في بدنه أو مشاعره أو ماله ، لأنهما أخوان في الله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (٤) .

٣ - تسمية الأولاد :

يسمى الأولاد بأسماء حسنة محبوبة ؛ ذلك لأن للاسم أثراً في نفس صاحبه ، وفي المثل " لكل مسمى من اسمه نصيب " ، فالاسم الحسن الرشيق المحبوب ، يشرح صدر صاحبه ، ويحفزه لأن يتصف ببعض دلالاته ، لذلك غير الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الأسماء القبيحة بأسماء حسنة ، فغير اسم عاصية إلى جميلة وسمى زيد الخير بدل زيد الخيل، وغير ذلك وأمر بتحسين الأسماء (٥) . ونهى عن

(١) انظر نظام الأسرة في الإسلام للخطيب وزملائه ص ١٤٤ .

(٢) انظر الأذكار للنووي ص ٢٤٢ .

(٣) انظر البخاري ومسلم ، الأذكار ص ٢٤٣ .

(٤) أخرجه الشيخان وأصحاب السنن إلا أبا داود وأخرجه غيرهم الجامع الكبير ج ١ ص ٩١٨ .

(٥) انظر الأذكار ص ٢٤٩ و ٢٤٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يعلمه الكتابة ويزوجه إذا أدرك " الجامع الكبير ج ١ ص ٥٠٣ .

التسمية بالأسماء المكروهة^(١) .

٤ - الأذان في أذن المولود :

ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أذّن في أذن الحسن بن علي رضي الله عنهما حين ولدته فاطمة رضي الله عنها^(٢) .

وقال بعض أهل العلم يؤذن في أذنه اليمنى ، ويقوم في أذنه اليسرى^(٣) . كل هذا ليكون أول عهده بالدنيا سماع التكبير والشهادتين ، والدعوة إلى الصلاة والفلاح ، وتوكيد ما فطرت عليه النفس الإنسانية بالقول يملأ أذنيه ويعمر نفسه ، ليكون منهجه في مستقبل حياته ، فيتحرر من العبودية لغير الله، ومهما يكن الأمر فتلك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥ - وينشأ على الآداب الإسلامية :

ويكون ذلك بالتدرج وما من طريقة من طرق التربية إلا وتجدها سبيلاً في الأسرة. والأبوان مسؤولان عن هذا بالنسبة لأولادهم ، يقول الغزالي: " الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عودَ الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له مؤدب ، وإن عودَ الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له. وقد قال الله عز وجل : " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً " ^(٤).

(١) المصدر السابق ص ٢٤٧ .

(٢) الأذكار ص ٢٤٤ .

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) التحريم : ٦ .

ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانتته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من الفناء السوء، ولا يعود التمتع، ولا يحجب إليه الزينة وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره، فلا يستعمل في حضانتته وإرضاعه إلا امرأة متدينة تأكل الحلال....^(١)

٦ - يجب أن يكون الوالدان قدوة حسنة :

من المفروض بأن يكون الوالدان قدوة حسنة لأولادهم في أقوالهم وأفعالهم، وجميع تصرفاتهم، فالإسلام يرى التربية بالقدوة من أعظم وسائل التربية، حتى إنه في تربية الأمة الإسلامية جعل قدوتها الرسول صلى الله عليه وسلم، قال عز وجل : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً "^(٢) .

فإذا كان الأبوان في المنزل قدوة حسنة لأولادهم، والمعلمون في المدرسة قدوة طيبة لتلاميذهم، والأمير قدوة طيبة لرعيته لن يجد الخلل سبيلاً إلى هذه المجتمعات .

٧ - صلاح الأولاد من صلاح آبائهم وأمهاتهم :

فكما أن أول صلاح التلاميذ صلاح معلمهم، فأول صلاح الأولاد من صلاح آبائهم وأمهاتهم، وقد أدرك السلف الصالح هذا فوجهوا المعلمين والمؤدبين إليه، قال عمرو بن عتبة لمؤدب ولده يوصيه: (ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت،

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٧١ وانظر تنمة هذا البحث بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم ص ٧١ - ٧٣ ج ٣ منه .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، رَوْهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ... وعلمهم سير الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتي يعرف الداء)^(١).

وقال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبي مؤدب ابنه : (إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد وليتك تأديبه ، فعليك بتقوى الله ، وأد الأمانة ، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روه من الشعر أحسنه ، ثم تخلل به أحياء العرب ، فخذ من صالح شعرهم ، وبصره طرفاً من الحلال والحرام ، والخطب والمغازي)^(٢) .

فالآباء والأمهات هم المعلمون الأوائل، والمؤدبون الذين تتفتح عليهم عيون الصغار، فحري بهم أن يتمثلوا هذه الوصايا وأمثالها، ليحفظوا بأولاد بررة طيبين .

٨ - تعهد الأولاد :

من الواجب على الأهل تعهد الأولاد منذ نعومة أظفارهم بتعليمهم العقيدة الصحيحة ، وتعريفهم بالعبادات على حسب مستوياتهم وبالتدرج ، وما الآيات التي يوصي فيها لقمان الحكيم ولده إلا درس تطبيقي مثالي لكل أبوين من أجل تربية أولادهم على هدى من الله عز وجل . قال سبحانه : " وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تُشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه

(١) العقد الفريد ص ٤٣٦ ج ٢ .

(٢) التربية الإسلامية لمحمد عظمة الأبراشي ص ١٤٠ ، الطبعة الثالثة. وجاء في وصية الرشيد لمؤدب ولده محمد الأمين (يا أحمر إن أمير المؤمنين قد رفع إليك مهجة نفسه ، وثمره قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطه ، وطاعته لك واجبة ، فكن بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرنه القرآن ، وعرفه الأخبار وروه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدنه ؛ وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذ بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه . ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مفتنم فائدة تفيده إياها ، من غير أن تحزنه فتمتيت ذهنه ، ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة) .

حملته أمه وهناً على وهنٍ وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ، ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" (١) . ويتخول الأولاد بالموعظة بين حين وآخر مخافة السامة عليهم (٢) .

٩ - رحمة الأبوين بصغورهم :

حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير نساء ركنن الإبل صالح نساء قریش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده " (٣) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يرحمُ الله من لا يرحمُ الناس وقد دخل صلى الله عليه وسلم على إحدى بناته ، فدُفِعَ إليه صبيها ونفسه تقعقعُ - أي تضطرب في سكرات الموت - كأنها في شَن ، ففاضت عيناه ، فقال له سعد بن عبادة يا رسول الله ما هذا ؟ قال : " هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " (٤) . كل هذا باعتدال من غير افراط ولا تفريط .

(١) سورة لقمان : ١٣ - ١٩ .

(٢) انظر كتابنا السنة قبل التدوين .

(٣) أخرجه أحمد والشيخان عن أبي هريرة . صحيح مسلم ٤/١٩٦٠ ، ومسنند أحمد ٣١٩/٢ و ٤٤٩ .

(٤) صحيح البخاري ج ٩ ص ٢٠٦ . والشن القرية البالية . وانظر كتابنا في رحاب أسماء الله الحسنى ص ١٧ .

١٠ - إشباع حاجة الأولاد إلى المحبة والعطف :

ففي أعماق الصغير شعور ملح بأن يكون محل محبة الآخرين وعطفهم ، وحاجته فطرية إلى اشباع هذا الشعور ، وهو يتغذى نفسياً بهذه المحبة التي ينعم بها من أمه وأبيه وذويه ، كما يتغذى جسماً بالطعام الذي ينمي جسمه ويبعث فيه دفء الحياة وأسباب النمو (ويوصياًطباء الجسم وأطباء الصحة النفسية على السواء بضرورة توفير هذا العطف ، ولو احتاجت الأم إلى الرضاعة الصناعية فيجب عليها أن تحضن وليدها ، وتدنيه من صدرها كما لو كانت تلقمه ثديها ... لأنه في هذا الجو من العطف والحنو ينشأ سليماً ... وإذا فقد الصغير العطف والمحبة نشأ غير سوي وأصاب صحته النفسية والعقلية والخلقية انحراف ، وكثيراً ما تكون بدايات الشذوذ والانحراف من فقدان الصغير العطف ممن حوله)^(١) .

وكما أن الصغير بحاجة إلى أن يكون محبوباً من قبل غيره ، فهو بحاجة أيضاً إلي أن يكون حوله من يحبه الصغير نفسه ، وبحاجة إلى أن يكون له من يعطف عليه ، ويعتني به - على صغره - و قد تؤدي الدُمى الصغيرة في أيدي الصغيرات شيئاً من اشباع هذه الحاجة ، فتنمو الصغيرات نفسياً بعطفهن على ألعابهن حين تعاملينها كما لو كانت بناتهن ، وتجعلن من أنفسهن أمهات لهن ، وكثيراً ما تأخذ هذا

(١) مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ص ٤٩ نقل استاذنا المرحوم محمد أبو زهرة خلاصة دراسة لكاتبة أوروبية جاء فيها (في خلال الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل تعمل القوى الغريزية البدائية عند الطفل في نشاط واضح ، وفي علاقات الطفل الأولى بوالديه يستخدم هذه القوى ، ثم يتغلب عليها بادماج نفسه في رغبات والديه ، فتهدب غرائزه وتكون في حدود معقولة ، ويكون الضمير اللوام ، ويبدأ الطفل حياة جديدة ... تحت تأثير عاملين قويين : أحدهما غرائزه التي لو انطلقت لكان وحشياً لا يألف ولا يؤلف.والثاني ما ينبعث من الوالدين من رحمة ومحبة وما يبادلهما به هذه المحبة مما يجعله يتأثر بهما، ويحاول ادماج نفسه في أنفسهما ، فتهدب بذلك غرائزه من غير ارهاق نفسي،ولا توجد في غير الأبوين،وبعبارة عامة لا توجد في غير الأسرة تلك العواطف التي توجد اندماج نفس الطفل في نفس غيره لتهدب غرائزه، وإذا كانت الغرائز تهدب بغير طريق الأسرة فبنوع من السيطرة لا الاندماج ، فيحس بالألم وبالضغط فيكون النفور،ومن النفور من حوله تتولد الكراهية للمجتمع . فلا يكون منه ألفة ولا ابتلاع ، ويكون من الشذوذ الذين ينظرون إلى الجماعات نظرة من يريد الافتراس) . تنظيم الاسلام للمجتمع ص ٦٥ - ٦٦ .

الدور الطفلة من أختها الأصغر منها، أو الطفل من أخيه الأصغر، وهذا من أسرار تعلق الصغار بعضهم ببعض إذا أحسنت رعايتهم ، وأحيطوا بجو من التعاطف والتحابب^(١).

وقد كان النبي صلى الله عليه أسوة طيبة في اشباع هذه الحاجة للصغار. فقد قيل ذات مرة الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع : " إن لي عَشْرَةَ من الولد ما قبلت منهم أحداً ". فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : " وماذا أفعل إذا نزعت الرحمة من قلبك " وفي رواية من لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ^(٢).

وهذا لا يعني أن يغالي الآباء والأمهات بمظاهر حبهم لأولادهم بلا حدود. فيكونوا سبباً في إفسادهم، ولا يرضوا عليهم بها فيكونوا سبباً في قسوتهم وانحرافهم ، إنها حاجة نفسية ، فتوفى تلك الحاجة باعتدال ، كما توفي غيرها من الحاجات ، بغاية التوازن ، ومعلوم أن الأمر إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده .

١١ - أن يعيش الصغار الإسلام في أسرهم :

يجب أن تتقيد الأسرة أمام أطفالها بتعاليم الإسلام كاملة في أكلهم وشربهم ودخولهم وخروجهم ، عند نومهم واستيقاظهم ، وفي مجالسهم وكل أحوالهم ، ولا يتم هذا إلا إذا كان الوالدان على هدى الإسلام في جميع أمورهم ، والصغير يحاكي الكبير في تصرفاته ، وما على الكبير إلا أن يلاحظ ويراقب صغاره ، فيصحح لهم سلوكهم حيناً ، ويعظهم أحياناً ، ويسألهم تارة ، ويشجعهم أخرى ، من غير تراخ أو قهر. حياة بسيطة صافية من كل ما يشوبها، وهذا أمر ميسر لمن يسره الله عليه ،

(١) ورأي أستاذنا الشيخ عبد الرحمن الباني أن يلخص عنوان تلك الحاجة (إلى أن يكون الصغير محبوباً من قبل غيره ، وأن يكون حوله محبوباً إليه) ب- (حاجة الطفل إلى التعاطف) . مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ص ٥٠ .
(٢) أخرجه الشيخان . قبسات من هدي النبوة ص ٩٥ .

فهذا عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما يحدثنا فيقول : كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يدي تطيشُ في الصحيفة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا غلام سَمَّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك " (١) .

ومثل هذا يقال في آداب الاستئذان والدخول والحديث ، في جميع مظاهر السلوك ، ليصير الإسلام خلق الصغار ، ومن شبَّ على شيء شاب عليه . ومدار الإسلام بعد التوحيد على مكارم الأخلاق ، والخلق الحسن وآداب السلوك من أفضل مكارم الأخلاق (٢) ، وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما نحل والدُّ ولده نحلأً أفضل من آداب حسن " (٣) .

١٢ - وعلى الوالدين تعليم أولادهم القرآن الكريم :

ينبغي على الأهل تعليم أولادهم القرآن ، فيختارون قصار السور ، بما يناسب أعمارهم ، فإن الصغير سريع الحفظ ، وحفظ كتاب الله في الصغر ، يملاً صدورهم ، ويقوم أسنتهم ، وهو النور الذي يهديهم سواء السبيل ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة من تعلم القرآن وعلمه بقوله : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " (٤) . وقد عمل السلف والخلف بالتوجيه النبوي الكريم ، حتى إن بعضهم حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب قبل العاشرة من عمره ، ومن المعاصرين من أتقن القرآن الكريم حفظاً وتلاوة في مثل هذا السن ، وفيما بعد يتوسع في فهمه ومعرفة دلالاته وأحكامه .

(١) أخرجه الشيخان . قياسات من هدي النبوة ص ١٠٥ .
(٢) انظر أصول النظام الأخلاقي من كتابنا الفكر الإسلامي . الفصل السادس . فقرة (١ - ٤) .
(٣) أخرجه الترمذي وغيره الجامع الكبير ج ١ ص ٧٣٣ .
(٤) أخرجه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه . وابن حبان عن عثمان رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري والترمذي عن علي رضي الله عنه وله طرق أخرى الجامع الكبير ج ١ ص ٥١٩ .

١٣ - تعليمهم الصلاة :

وذلك امتثالاً لتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم : "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع."^(١)

إن الولد بحكم فطرته ، وحبه للتقليد ، ومحا كاته لغيره في أقواله وأفعاله يقلد أهله في كثير من تصرفاتهم ، وكثيراً ما يقلد أمه وأباه بالصلاة وهو دون السابعة ، فما على الوالدين إلا أن يوجهوه إلى الصواب ، وإلى اتقان ما تقوم الصلاة به ، فما يبلغ السابعة إلا وقد أحسن أداءها وبخاصة إذا صاحب والده وإخوانه الكبار إلى المسجد ، وحينئذ لا يحتاج إلى تعليمها ، ومهما يكن الأمر ، فإنه إن لم يتح له أن يتعلم الصلاة قبل السابعة فإن أولياءه - أبوه وأمه وإخوانه - مكلفون بأن يعلموه الصلاة . وليس في هذا أيما مشقة عليه أو عليهم ، فإن الصغار دون السابعة في أيامنا هذه يتقنون بعض المهارات ويحفظون من القصائد والأناشيد وغيرها أضعافاً مضاعفة مما يحتاج إليه الصلاة . ومادام الصغير يُشجَعُ ويرغب بالصلاة وبآداب الاسلام فلن يحتاج إلى الضرب في العاشرة، لأنه يؤديها ويحسن القيام بها خلال أربع سنين، من السابعة إلى العاشرة، فلو تركها في العاشرة إنما يتركها لعارض طارئ،، فينصح ويذكر بها، فإن أبى ضرب ضرباً غير مبرح ليعتد عليها ويألفها، وفي الصلاة صلاح الصغار وتركية نفوسهم .

وأما التفريق في المضاجع في العاشرة ، ففيه مزيد تأديب لهم ، وصون وحفظ وتربية على الاستقامة ، والبعد عما يفضي مستقبلاً إلى مفسدة . والصغار بفطرتهم يرغب كل منهم أن يستقل بفراشه ، وتوكيداً لهذه الفطرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الأولياء بذلك، ونبههم إلى ما يجب أن يلاحظوه في تربية أولادهم، وفي هذا (١) أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمرو، والدارقطني والطبري عن أنس ، وله طرق أخرى . انظر الجامع الكبير ج ١ ص ٧٤٢ وجمع الفوائد ج ١ ص ١٣٩ .

كمال الخلق، وجمالُ الحياء، والحياء شعبه من شعب الإيمان .

١٤ - تربية الأولاد تربية صحية :

إن أكثر ما سبق بيانه يتناول الجانب العقلي والجانب النفسي من الأولاد كما يتناول الجانب الروحي . وإلى جانب هذا فقد اهتم الاسلام بالناحية البدنية ، وواضح هذا في قوله صلى الله عليه وسلم : " إن لبدنك عليك حقاً " . وقد أوجب الاسلام نفقة الصغار على آبائهم ، ليسدوا حاجاتهم من الطعام والشراب والكساء ، وقال صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير .. " ^(١) والقوة هنا عامة تتناول جميع أنواع القوة البدنية والعقلية والروحية والعلمية .

١٥ - تعليمهم الرماية والسباحة :

ينبغي على الوالدين تعليم الأولاد الرماية والسباحة وأنواع الفروسية والرياضات النافعة، التي تبني الأجسام وتقويها، وتكسب الأولاد المهارات البدنية المختلفة، بما يناسب أعمارهم ، ويتفق مع قدراتهم، وبهذا تبني أجسامهم، وتحفظ صحتهم ، وتستفرغ طاقاتهم الجسمية بما ينفعهم، ويصانون عن مزالق الميول والأهواء المنحرفة ، لما تكسب هذه الرياضات أصحابها من المروءة والعزة وهذه من أجمل الخصال في الشباب إذا انضم إليها الايمان والعفة .

وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم مثل هذه الرياضات ، فعن عقبة بن عامر قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقرأ : "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل ... الآية " - ألا إن القوة الرمي، ألا إن

(١) أخرجه الإمام مسلم وأحمد وابن ماجه صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٢١٥ .

القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي" (١).

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم شارك الشباب في هذا وحشهم عليه ، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : " مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون . فقال : ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً . ارموا وأنا مع بني فلان ، قال : فأمسك أحد الفريقين بأيدهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ارموا فأنا معكم كُلِّكُمْ " (٢).

وحسبنا في هذا المقام ما كان يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم من ترويض الصغار وتشجيعهم . فعن عبد الله بن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بني العباس ويقول : من سبق إليّ له كذا أو كذا ، فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدرة فيلتزمهم ويقبلهم (٣) .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله في الآفاق بأن يأمرؤا المسلمين " أن علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية " (٤) ، وكره الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينسى من تعلم الرمي ما تعلمه ، إذ قال : " من علّم الرمي ثم تركه فليس منا " (٥) . وهذا يشعر بأن (من أدرك نوعاً من أنواع القتال التي ينتفع بها في الجهاد في سبيل الله ، ثم تساهل في ذلك حتى تركه كان آثماً إثمأً شديداً ، لأن

(١) الآية ٦٠ من سورة الأنفال والحديث رواه أحمد ومسلم . صحيح مسلم بشرح النووي ص ٦٤ ج ١٣ ، وفتح الباري ص ٤٣١ ج ٦ ، ونيل الأوطار ص ٨٨ ج ٨ .

(٢) أخرجه البخاري وأحمد فتح الباري ص ٤٣١ - ٤٣٢ ج ٦ ونيل الأوطار ص ٨٧ ج ٨ . قوله ينتضلون : أي يترامون بالسهام للسبق فيمن يحسن اصابة الهدف .

(٣) رواه الإمام أحمد واسناده حسن مجمع الزوائد ج ٩ / ٢٨٥ .

(٤) انظر المقاصد الحسنة (علموا بنيكم) .

(٥) رواه أحمد ومسلم . صحيح مسلم بشرح النووي ص ٦٥ ج ١٣ ، ومعنى ليس منا يعني ليس على طريقنا .

ترك العناية بذلك يدل على ترك العناية بأمر الجهاد، وترك العناية بالجهاد يدل على ترك العناية بالدين لكونه سنامه وبه قام (كمال الشوكاني^(١) .

وفي هذا كله مران للفتيان ، وإعداد لهم لقاديات الأيام ، وفيه قوتهم وعزتهم وعزة الإسلام . ومنعتهم ومنعة بلادهم .

ويعتنى بصحة البنات كما يتعنى بصحة الغلمان ، ويُعلِّمَن من المهارات ماينفعهن في مستقبل حياتهن^(٢) . كما يتعلمن من الرياضات ما يناسبهن مع تمام مراعاة الحشمة والكرامة . فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم تسابق مع السيدة عائشة مرتين سبقته في الأولى وسبقها في الثانية ، وقال (هذه بتلك) أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

١٦ - تربية الأولاد على العدل :

وذلك بعدم التفريق بينهم ، أو تفضيل بعضهم على بعض تمييزاً بين الذكور أنفسهم، أو بتمييز الذكور على الإناث، فكلهم أخوة ، وكلهم أولاد متساوون، فيجب أن يحظى الجميع بحب الأبوين لهم، وبالعدالة الظاهرة في معاملتهم، وعدم محاباة بعضهم على بعض، لما يفضي التمييز بينهم إلى اغارة صدور بعضهم على بعض فينتهي الأمر إلى أن يكره المفضول عليه المُفضَّل، وينقلب الكره إلى بغض، وهذا أول خطوات في طريق الانحراف والجنوح. وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم على وجوب العدل بين الأولاد. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما " أن أباه أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان والده قد اعطاه عطية - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أَكُلُّ وَكَدِّكَ نَحَلْتِ مِثْلَ هَذَا ؟ فقال : لا. فقال رسول

(١) نيل الأوطار ج ٨ ص ٨٨ .

(٢) في الحديث نعم لهو المزمعة في بيتها الفزل الجامع الكبير ج ١ ص ٥٧٥ .

الله صلى الله عليه وسلم فأرجعه"^(١) وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " ^(٢) قال النعمان فرجع أبي فرداً تلك الصدقة^(٣) .

وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم : " سوا بين أولادكم في العطية ، فلو كنت مفضلاً أحداً ، لفضلت النساء " ^(٤) .

ففي هذه الأحاديث وجوب المساواة بين جميع الأولاد ، وعدم جواز تفضيل بعضهم على بعض ، وهو عام في الذكور والإناث ، لأن لفظ الولد يتناولهما ويشملهما . وفي منطوق الحديث الآتي " من كانت له أنثى فلم يئدها ، ولم يُهنها ، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة "^(٥) . نهي صريح عن تفضيل الذكر على الأنثى ، مما كان الناس عليه في الجاهلية ، وجاء الإسلام فأبطله ، ورفع من شأن الأنثى وحث على تكريمها والإحسان إليها . فأى لون من ألوان تفضيل الذكور على الإناث بسبب ذكوريتهم إنما هو من أمر الجاهلية ، فلا يجوز أن يجد سبيله إلى بيوتنا ومجتمعاتنا .

وفي المساواة بين الأولاد إرساء أسس المحبة والألفة بينهم ، وتوثيق عرى الأخوة والتمهيد لإيقاظ شعور الإيثار فيهم . فتعم السعادة الأسرة ، وينشر أريجها في المجتمع ، فتترك فيه آثاراً طيبة ، نحن اليوم أحوج ما نكون إليها .

(١) متفق عليه . سبل السلام ج ٣ ص ٨٩ .

(٢) متفق عليه المرجع السابق .

(٣) متفق عليه المرجع السابق .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي باسناد حسن . سبل السلام ج ٣ ص ٨٩ .

(٥) أخرجه أبو داود عن ابن عباس . الجامع الكبير ج ١ ص ٨٢٨ .

١٧ - الترويح عن الأولاد :

قَدَّر الإسلام طبيعة الإنسان وفطرته، فاختر المولى عز وجل ما ينمي هذه الفطرة وما يلائمها، ومنع كل سبيل يفضي بهذه الفطرة إلى الضعف أو الاضمحلال، وأمر بالتوازن بين متطلبات هذه الفطرة في الإنسان نفسه ، والتوازن بين الإنسان ومجتمعه في شؤون حياته . كما أمر بالتوازن في أحوال الإنسان ، ومراعاة ظروفه وتقلباته ، فشرع له ما يحفظه ، ويجدر نشاطه، الجسمي والعقلي والروحي والوجداني. وقد المع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا حين قال: " إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً . فأعطِ كل ذي حَقِّ حقه "(١) .

ففي هذا، بيان بوجود التوازن بين هذه الأمور ، واعطاء كل جانب حقه، فالجسد يحتاج إلى راحة بعد الجد والكد ، والعقل يحتاج إلى التنوع والتغيير فيما يقدم إليه، والروح والنفس تحتاجان إلى الترويح وشحن الهمة وتجديد النشاط ، بل إن الترويح يعود على جميع مكونات الإنسان بالخير .

وكل ترويح عن النفس لا يعارض أسس الاسلام وأهدافه ، ولا يشير الشهوات، ولا يخرج الإنسان عن مسالك الفضيلة إلى مسالك الغواية والرذيلة، ولا يفضي إلى المفساد ، ولا تنقلب الحياة فيه إلى عبث وضياح ، ولا يضيع حقاً لله أو حقاً للعباد، مع حفظ كرامة الإنسان وأخلاقه وأهله وماله - ترويح مشروع بتلك الشروط، وإن إباحته إنما هي نوع من أنواع العون على تحمل أعباء الحق والصبر في سبيله، وبخاصة أن المسلم ومجتمعه الإسلامي مكلفون بأعباء الرسالة وأداء أمانتها، إلى الإنسانية عامة .

(والمبالغة في كل شيء مذمومة، ومن هنا كره الاسلام لأمته أن تنصرف إلى اللهو، وأن تفسد حياتها بمظاهره الهزيلة، وهؤلاء اللاهون هم الذين يقول فيهم القرآن

(١) أخرجه البخاري . صحيح البخاري بحاشية السندي ج ٤ ص ٧١ .